

## الأخر/أنا، نحن/هم... أبجديات الحداثة

د. جمال التركي - الطب النفسي / تونس

turky.jamel@gnet.tn

لا تعني الحداثة رفض التراث، ولا القطيعة مع الماضي، بقدر ما تعني الارتقاء بطريقة التعامل معه إلى مستوى «المعاصرة»، أي مواكبة التقدم الحاصل على الصعيد العالمي. إن الحداثة تبحث عن مصداقية أطر وحافها في خطاب «المعاصرة» وليس خطاب «الأصالة» الذي يُعنى بالدعوة إلى النمسك بالأصول واستلهاها، لكن الحداثة في الفكر العربي المعاصر لم ترقّ قيع إلى هذا المستوى، فهي تسنوحى أطر وحافها من الحداثة الأوروبية وتطلب المصداقية لحظاتها من أصولها. حتى إذا سلمنا بأن الحداثة الأوروبية تمثل حداثة «عالمية» فإن انظماها في التاريخ الثقافي الأوروبي، ولو على شكل النمد عليه، يجعلها حداثة لا تستطيع الدخول في حوار نقدي مع معطيات الثقافة العربية لكوها لا تنظم في تاريخها. فهي لا تستطيع أن تحاورها حواراً يحرك فيها الحركة من داخلها، إنها تاجها من خارجها مما يجعل رد الفعل هو الاتفلاق والنكوص. إن طريق الحداثة عندنا يجب أن ينفلق من الفكر النقدي للثقافة العربية بهدف تحريك التغيير فيها من الداخل، لذلك كانت الحداثة تعني حداثة المنهج وحداثة الرؤية، والهدف: تحرير تصورنا لـ «التراث» من البطانة الأيدولوجية والوحدانية التي تضفي عليه، داخل وعينا، طابع العامر والمطلق وتفتح عنه طابع النسبية والتاريخية. إن خصوصية الحداثة عندنا في أن تكون خلق "حداثة عربية".

مقتبس عن "التراث والحداثة" / د. محمد عابد الجابري

## الملف: أبحاث من المؤتمر العالمي

لموقف عدائي منه لا يساهم إلا في عزلها أولاً وإلغائها لاحقاً خاصة وأن الآخر هو الطرف الفاعل في حضارة اليوم فهو الأقوى علمياً / اقتصادياً / عسكرياً / سياسياً... إن من أبجديات الانخراط في حداثة عصرنا الراهن ضرورة إيجاد مساحة للآخر في وعيي وقبوله كمتخلف لا يهدد وجودي، أنا في حاجة إليه كحاجته إلي (وإن اختلفت الدوافع) للتخفيف والإثراء، حتمة علي التعاون معه في سبيل تحقيق نهضة تتجاوز الإنسان في محيطه الإقليمي الضيق إلى الإنسان في محيطه الكوني.

في ملف هذا العدد تقدم النصوص الكاملة لبعض أبحاث المؤتمر العالمي، نستلها بورقة كل من عادل زايد وعادل سرور (الكويت) حول "الوصف الديموغرافي والمرضي للأشخاص المراجعين بمستشفى الطب النفسي في الكويت لسنة 2002" خلاصاً فيه إلى أن 36.6% من المعالدين يعانون اضطرابات مزاجية، 12% اضطرابات قلقية، 10.1% من اضطرابات فصامية و 7.9% اضطرابات ذهانية حادة. كما تقدم ورقة كل من ناهدة العرجاء وتيسير عبد الله (فلسطين) حول "قلق الموت عند الفلسطينيين خلال انتفاضة الأقصى"، خلاصاً فيها إلى ارتفاع مؤشر قلق الموت عند المرأة مقارنة بالرجل وإلى تدني هذا المؤشر عند المتدينين. كما قدم وائل أبو هندي (مصر) وزملاؤه

بهذا العدد الثامن من الإصدار نختم السنة الثانية من عمر المجلة الإلكترونية، وهي فترة قصيرة للتقييم أو الحكم، لكن المؤشرات الأولية تدل أنها تبوأ مكانة محترمة بين الدوريات النفسية العربية فقد استطاعت التميز من عدد إلى آخر والحفاظ على انتظام صدورها رغم العوقات، وساهم تخصيص كل عدد بملف حول موضوع محدد في إثراء المجلة وجاء ملف هذا العدد محتوياً بعض الأبحاث الطبفسية التي شارك بها الزملاء العرب في المؤتمر العالمي الثالث عشر للطب النفسي (مصر، القاهرة سبتمبر 2005) والذي شهد طفرة نوعية وكبيرة على مستوى المشاركة العربية، حيث ساهم انعقاد المؤتمر في بلد عربي بقسط وافر في هذه الطفرة. إننا نشن هذه المشاركة خطوة هامة في سبيل تحقيق نهضة علمفسية والانخراط في حداثة نعدنا قدراً لا خيار لنا فيها تتجاوزا لواقع علمي متخلف وإحداث قلة تحورنا من الاعتمادية والانكفاء على ذات نرجسية متضخمة، منكرة الآخر أو مهمشة له وإن اعترفت به، إلى استقلالية منفتحة على المختلف معترفة به طرفاً فاعلاً، متفاعلة معه تفاعلاً إيجابياً معززا لكيانها وغير مهدد لوجودها إن الاعتقاد في إلغاء المختلف حماية للذات من خطر يهدد كيانها يؤسس

من التعرف على مشكلات التلاميذ الدراسية. ويأتي البحث الثالث في هذا الباب من فلسطين لزناد بركات "من المسؤول عن تعليم القيم للشباب" أكد فيه إلى أهمية كل من الأسرة، المدرسة والمسجد في تعليم الشباب منظومة القيم المتمثلة أساسا في: النظام، الترتيب، النظافة، الاستقلالية، الطاعة، الاحترام، سعة الخيال والإبداع، الحداثة والتطور والمعاصرة، التحرر، حب الاستطلاع، استقصاء المعرفة، الحشية ومحافة الله، التسامح، العفو، المسالمة وعدم الاعتداء،... مقدا في نهاية البحث توصيات، أهمها: ضرورة تفعيل التربية الدينية، تقديم الآباء نماذج من السلوك الهادف، الاستماع والاتباء الجيد للأبناء، بناء علاقات سليمة وواضحة بين الوالدين، تشريك الأبناء في القيام بأدوار اجتماعية تمثل فيها القيم والمبادئ الأخلاقية. ومن لبنان قدم لنا عدنان حب الله قراءة نفس تحليلية لأحداث العنف الأخيرة التي هزت ضواحي المدن الفرنسية والتي طالت شريحة اجتماعية متفجرة متمثلة في مجموعة أئمة من المهاجرين المغاربة في مقاله "العنف المتجذر والخطر على الديمقراطية"، بين فيها كيف أن هؤلاء المهاجرين وجدوا أنفسهم منفين من بلادهم ومنفيين في المجتمع الفرنسي ولم يكن أمامهم لكي يحافظوا على وجودهم إلا التمسك بالهوية الأولى والتعصب لها وإحياء التراث الذي كانوا قد تنازلوا عنه طمعا في الاندماج. موضحا أن ما حصل في فرنسا ليس عبثا ولا عشوائيا فشموليته تخضع لعوامل مشتركة تجمعت وأدت إلى تنسيق غير منتظر، فهذا التطور المتأزم نتيجة نمو مستمر منذ ثلاثة أجيال، استعاد فيه الجيل الثالث مكبوت الجيل الأول وأخرج إلى العلن ما كان في الخفاء، وعندما أصبح الدين هوية تناهض الهوية الوطنية ظهرت الأزمة بأشكالها المتعددة. كما نعرض في هذا الباب مجا آخر ليحيى الرخاوي (مصر) "عن كبت الخوف وتسطيع البشر" بين فيه أن الخوف حق مشروع من حقوق الإنسان وعلينا أن نتساءل كيف تعامل مع هذه المشروعية بمسؤولية حذرة وكيف نخاف لنزداد يقظة وحرصا. بدءا علينا أن نعترف به انفعالا طبيعيا بل ضروريا إذا حقق وظيفته التحذيرية، ثم الدافعية، بالتنبه والاتباء والفهم فالاستعداد للمجهول، عندها يكون جديرا بموقعه التطوري الضروري... أما إذا تجاوز هذا فيصبح ظاهرة مرضية في حاجة إلى علاج. في خاتمة هذا الباب نعرض بحث كل من سليم عنابي (تونس) وزملائه حول "المفهوم العربي الإسلامي لنهاية الحياة" ونعمان الغرابية (أمريكا) حول "إيجابيات وسلبيات التداوي بمضادات الكآبة دون وصفة طبية" بأن يسمح للمريض الحصول على هذه الأدوية مباشرة من الصيدلي شأن عديد الأدوية المسموح بها. قبل نهاية هذا الباب نعرض لقراءات عديد المقالات الموجزة: "فقور من الاعتذار وقبول بالانكسار وتقديس للعنف"، "ترميم وتقوية الأنا"، "تمثالا بوذا والأصنام المعاصرة"، "جان برجوري: التنظيمات السيكوسوماتية"، "فجح المؤتمر العالمي للطب النفسي"، "المقاربة الثقافية لمعالجة الصدمة بعيدا عن الأدوية" وأسامة الراضي: الأب المؤسس

مجاً ميدانيا عن "دراسة نسبة حالات الطوارئ النفسية في جامعة الزقازيق" بينوا فيها أن نسبة المترددين لأسباب نفسية تمثل 1.71% من مجموع المعالين إلى قسم الطوارئ تم إيواء 35.5% منهم بالقسم الداخلي للطب النفسي وتمثلت الاضطرابات الأكثر شيوعا في الهستيريا التحولية، الاضطرابات الوجدانية، اضطرابات الفصام واضطرابات القلق، مؤكدا أهمية تحسين الظروف المعيشية وزيادة التوعية بالأمراض النفسية لمقاومة وصمة المرض النفسي في مجتمعاتنا. كما نعرض بحث ماجدة شعور وزملاءها (تونس) حول "التوافق الزوجي والصحة النفسية للمرأة" وأثر الخلافات الزوجية على نفسياتها، خلصوا فيه إلى ارتفاع نسبة الشكاوي الجسدية والأعراض الأكتئابية والقلق عند المرأة التي تعاني خلافات زوجية. كما نعرض النص الكامل بنسخته العربية والإنكليزية لورقة لطفي الشربيني (مصر) حول "متلازمة الزوجة الأولى في الزواج المتعدد" عرض فيها بشكل مفصل للأعراض النفسية التي تتعرض لها الزوجة الأولى من خلال رصد المراحل التي تمر بها بداية من الرفض والاحتجاج إلى الاستسلام للوضع الجديد (في مدة زمنية محددة) و المتمثلة أساسا في الشكاوي الجسدية واضطرابات القلق التي تفوق اضطرابات الوجدان وسوء التوافق.

### أبحاث ومقالات أصيلة

نستهل باب أبحاث ومقالات أصيلة بالجزء الثاني من دراسة حول "الإنسان: الحب والحياة... الجسد" ليحيى الرخاوي (مصر) بين فيها أهمية الموقف التوجسي المبدئي الذي تبدأ به حياة البشر، حيث يكون حضور الآخر في وعي الإنسان ضرورة لمواجهة بداية الطريق، فالآخر لا يكون آخرا إلا إذا كان كيانا مستقلا عن ذاتي الأمر الذي نزع منا أننا نمارسه حين نتكلم عن الحب وعن قبول الآخر وعن الثقة، في حين لا نعمل علاقة إلا باحتياجاتنا نحن، وإسقاطاتنا نحن. إن حضور الآخر في وعينا يكون بداية باعتباره خطرا يهدد وجودنا، بمعنى أنه قد يسحقنا فيلغي وجودنا لحسابه، أو قد نلتهمه نحن احتياجا أو خوفا، فنلغي وجوده (وفى نفس الوقت نحرم أنفسنا منه) ومن هنا يضطرد الجدل إن هذا النوع من العلاقة الذي يعلن أن وجود الآخر هو الخطر بعينه مرحلي، لكنها مرحلة لا تدوم وإن كانت تكمن جاهزة للتنشيط، نستدعيها كلما احتجنا إليها، وأحيانا تقتحم الوعي بعنف، في شكل مرضى. كما شاركنا بشير معمري (الجزائر) ببحث عن "صعوبات التعلم الأكاديمية" مقدا في نهاية دراسته الميدانية جملة من التوصيات للحد من هذه المشكلة (الاضطراب) أهمها: إجراء دراسات مسحية للتعرف على الحجم الحقيقي لها، الاهتمام بتشخيص هذا الاضطراب وعلاجه فور اكتشافه، توفير أخصائين للتشخيص والعلاج، تزويد المربين والمعلمين بمعلومات عن صعوبات التعلم إضافة إلى تعاون الأسرة والمدرسة والحد من اكتظاظ الأقسام للتمكن

المتخصصة" (لبنان) الذي جاء موضوع ملفها حول "الهجرة وأمراضها النفسية" لسليم عنابي وزملائه (تونس). وفي باب المؤتمرات النفسية تقدم برامج المؤتمرات التالية: المؤتمر السنوي الثاني عشر للإرشاد النفسي (القاهرة، ديسمبر 2005)، الملتقى الثاني لطب نفس الطفل والمراهق (تونس، أبريل 2006)، المؤتمر الفرنسي المغربي 24 للطب النفسي حول الاضطرابات الشناطبية (باريس، نوفمبر 2005) مع عرض أجندة المؤتمرات الدولية للثلاثية الأولى من سنة 2006 وأجندة مؤتمرات الجمعية العالمية للطب النفسي. أما باب وثائق العلوم النفسية نعرض لـ "مشروع ممارسة العلاج النفسي في لبنان" الذي قدم فيه عدنان حب الله عرضاً لواقع العلاج النفسي في لبنان والبرنامج المستقبلي المتمثل في تأسيس الكوادر الأكاديمية للتحليل النفسي وتنظيم مهنة العلاج النفسي في لبنان. كما تقدم وثيقة لأحمد عكاشة (مصر) عن "الميثاق العربي لحقوق الإنسان" (مصر).

وفي خاتمة العدد نعرض للأبواب القارة: انطباعات الأطباء وأساتذة علم النفس، جوائز نفسية وعالمية (جائزة ابن رشد للفكر الحر لسنة 2005)، مستجدات الطب النفسي (ملخصات ورقات الأطباء النفسانيين العرب في المؤتمر العالمي للطب النفسي- الجزء الثاني)، والمعجم النفسي (ترجمة من وإلى العربية - الإنكليزية- الفرنسية، الإنكليزية - الفرنسية- العربية، الفرنسية- الإنكليزية - العربية) لبقية الحرف "أ" من المعجم العربي، الحرف "B" من المعجم الإنكليزي و من المعجم الفرنسي الحرف "C".

### قبل القتام

ونحن نودع سنة 2005 افتقدنا علمين من أعلام الطب النفسي العربي، الأستاذ الدكتور أسامة الراضي (السعودية) والأستاذ الدكتور محمد غربال (تونس)، يعتبر البروفيسور الراضي أبرز مؤسسي الطب النفسي السعودي وأول من أرسى قواعد الاختصاص في بلده، تخرج على يديه نخبة من أبرز الأطباء النفسانيين السعوديين، حمل هم الإسلام والمسلمين وعمل جاهداً على إبراز الخصائص المميزة للعلاج النفسي الديني، وما لهدى الإسلام وتعاليمه من دور فعال في الحماية من بعض الاضطرابات النفسية أوقف أعراضها، في حين كان الأستاذ غربال في تونس من أوائل الأطباء الذين سعوا إلى تأسيس المدرسة التحليلية النفسية إلى جانب مساهمته الفعالة في تكوين الجيل الأول من الأطباء النفسانيين التونسيين. لقد كان كل من الراضي وغربال من أبرز وجوه الاختصاص في الوطن العربي، أثرى كل واحد منهما الطب النفسي في بلده بطريقته الخاصة، ومساهمة في تكريمهما أدعو زملائي العرب مشاركتنا جمع أعمالهم العلمية ونشرها مستقبلاً في المجلة الإلكترونية للشبكة علنا نساهم ولو بجزء يسير في إبقاء بعض من حقهام علينا. رحم الله الفقيد رحمة واسعة آمين أن يواصل الخلف رسالة السلف والسير على هدى دريهم رفعة للعلوم النفسية في أوطاننا.

... وعليكم السلام

للطب النفسي السعودي". وجاءت هذه المقالات بالتوالي لكل من: قديري حفي (مصر)، خليل فاضل (مصر)، يحيى الرخاوي (مصر)، سهام بالعارف (الجزائر)، جون مزيش وفاروق السنديوني (مصر).

### مراجعة أطروحات

في هذا الباب نعرض ملخص أطروحة داليا مصطفى (إشراف سينتيا نلسن- الجامعة الأمريكية بالقاهرة)، تناولت فيها "العوامل الاجتماعية والثقافية للانهايار النفسي عند المرأة المصرية اليوم" خلصت إلى تنوع الشدائد النفسية والضغوطات التي تتعرض لها المرأة وإلى إصابتها مبكراً بالاضطرابات النفسية لكن لجوءها إلى المداوات الطبفسية أو العلاج النفسي يتأخر عادة لأسباب متنوعة أهمها الخوف من وصمة المرض النفسي، طول فترة العلاج والآثار الإيجابية للأدوية، وفي سلسلة عرضها لعدد الاضطرابات التي تتعرض لها المرأة تخصص وصفا مفصلاً لـ "متلازمة الثانوية العامة"، و"القلق السابق للزواج" مركزة على العوامل المحفزة للاضطراب النفسي شأن الضغوطات العائلية، عدم التوازي بين الجنسين، الصراع بين الحدائق والتقاليد، الصعوبات الأكاديمية، العزلة والقمع الفكري، إضافة إلى عوامل أخرى سياسية، اقتصادية وثقافية. تلخص في نهاية مجتها إلى عديد التوصيات لرفع مستوى الرعاية النفسية للمرأة وتجنبها الاضطرابات وصولاً بها إلى صحة نفسية سليمة.

### مراجعة كتب

نعرض في هذا الباب كتاب سوسن شاكر الجليبي (العراق) "أساسيات بناء الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية" من خلال تعريف موجز بأهم فصول الكتاب الذي يهدف إلى تقديم الخطوات الأساسية عن كيفية بناء الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية لاستخدامها في الحقل العملي.

كما تقدم تعريفًا لكتاب كل من غيثاء الخياط (المغرب) وآلان قوسو (فرنسا) "الطب النفسي، الثقافة والسياسة" تناولاً بالبحث العلاقة المتداخلة بين سلطات ثلاث: سلطة الثقافة، سلطة السياسة وسلطة العلم في زمن تميز بما سمي صراع الحضارات أو الثقافات أو ما أرادوه أن يكون كذلك وبسيطرة كاسحة للفكر الغربي. وكان الدافع الأساسي لهذا الكتاب ما يشعر به كل واحد منا من ثورة داخلية إزاء عديد المظاهر الصادمة: لماذا الجنون، لماذا الفقد، لماذا المعانات، لماذا تقصف حياة البعض، لماذا ليس من حق البعض أن ينعم بحياة مطمئنة... عسى أن يجد القارئ لهذا الكتاب بعضاً من إجابات.

### أبواب أخرى

في مراجعة مجلات تقدم ملخصات العدد الثالث والستون من "الثقافة النفسية